بأنه المسيح وهذا على قول من يقول إن المراد بيان ترك القتال قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث
والأنعام نصيبا الآية لما بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من إنكار البعث وغير
ذلك عقبه بذكر أنواع من جهالاتهم وأحكامهم الفاسدة تنبيها على ضعف عقولهم وجهلهم وما
كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مما ذرأ يعني مما خلق من الحرث يعني الزرع والثمر
والأنعام يعني ومن الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم نصيبا يعني قسما وجزءا قال المفسرون كان
المشركون في الجاهلية يجعلون لله من حروثهم وثمارهم وأنعامهم وسائر أموالهم نصيبا وللأصنام
نصيبا فما جعلوه من ذلك لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين وما جعلوه للأصنام أنفقوه عليها وعلى
خدمها فإن سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الأوثان تركوه وقالوا إن الله غني عن هذا وإن
سقط شيء من نصيب الأوثان فيما جعلوه لله ردوه إلى الوثن وقالوا إنها محتاجة إليه وكانوا إذا هلك شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به
وإذا انتقص شيء من نصيب الأوثان جبروه بما جعلوه لله فذلك قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث
والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم يعني قولهم الذي هو غير حقيقة لأن معنى زعم حكاية قول
يكون مظنة الكذب ولذلك يجيء الزعم في موضع القبيح وإنما نسبوا إلى الكذب في قولهم هذا لله
بزعمهم وإن كانت الأشياء كلها لله لأنهم أفردوا نصيب الأصنام مع نصيب الله وهو قولهم وهذا لشركائنا
يعني الأصنام وإنما سموا الأصنام شركاء لأنهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونه عليها فما كان
لشركائهم يعني ما جعلوه لها من الحرث والأنعام فلا يصل إلى الله يعني فلا يعطونه المساكين
ولا ينفقونه على الضيفان وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم والمعنى أنهم كانوا يفردون ما جعلوه
للأصنام مما جعلوه لله ولا يفردون ما جعلوه لله مما جعلوه للأصنام وقال قتادة كانوا إذا أصابتهم
سنة قحط وشدة استعانوا بما جعلوه لله وأكلوا منه ووفروا ما جعلوه لشركائهم ولم يأكلوا منه
شيئا وقال الحسن والسدي كانوا إذا هلك ما جعلوه لشركائهم أخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون
ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم قال الله تعالى ساء ما يحكمون يعني بئس ما يحكمون ويقضون
وذلك أنهم رجحوا جانب الأصنام على جانب الله تعالى في الرعاية والحفظ وهذا سفه منهم وقيل إن الأشياء
كلها لله عز وجل وهو خالقها فلما جعلوا للأصنام جزءا من المال وهي لا تملك ولا تخلق ولا تضر ولا تنفع
لهذا ساء لهم الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الأحكام
الفاسدة التي لم يرد بها شرع ولا نص ولا استحسنها عقل قوله عز وجل وكذلك عطف على قوله وجعلوا
لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا يعني كما جعلوا ذلك فيهم كذلك زين لكثير منهم قتل أولادهم
شركاؤهم والمعنى أن جعلهم لله نصيبا من أموالهم ولشركائهم نصيبا وذلك في غاية الجهل بمعرفة
الخالق المنعم لأنهم جعلوا الأصنام مثله في استحقاق النصيب وكذلك إقدامهم على قتل أولادهم
في غاية الجهالة أيضا كأنه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في القسمة جهلا وخطأ وضلالا كذلك زين
يعني حسن لكثير من المشركين قتل أولادهم يعني بوأد البنات أحياء مخافة الفقر والعيلة
شركاؤهم يعني شياطينهم أمروهم أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركاء
لأنهم أطاعوهم فيما أمروهم به من معصية الله وقتل الأولاد فأشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم
وأضيف الشركاء إلى المشركين لأنهم أطاعوهم واتخذوهم أربابا وقال الكلبي شركاؤهم سدنة آلهتهم
يعني خدامها وهم الذين كانوا يزينون ويحسنون للكفار قتل الأولاد وكان الرجل في الجاهلية يقوم
فيحلف لئن ولد له كذا وكذا غلاما لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله وعلى هذا
القول الشركاء هم السدنة وخدام الأصنام سموا شركاء لأنهم أشركوهم في الطاعة ليردوهم
يعني ليهلكوهم بذلك الفعل الذي أمروهم به والإرداء في اللغة الإهلاك قال ابن عباس ليردوهم
في النار وليلبسوا عليهم دينهم يعني وليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك

في دينهم

٢٢٧

في دينهم وكانوا على دين إسماعيل عليه السلام فرجعوا عنه بتلبيس الشياطين وإنما يفعلون ذلك ليزيلوهم
عن الحق الذي كان عليه إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام فوضعوا لهم هذه الأوضاع الفاسدة وزينوها
لهم ولو شاء الله ما فعلوه يعني ولو شاء الله لعصمهم من ذلك القبيح الذي زين لهم من تحريم الحرث
والأنعام وقتل الأولاد أخبر الله عز وجل أن جميع الأشياء بمشيئته وإرادته إذ لو لم يشأ لما فعلوا ذلك
فذرهم يعني فاتركهم يا محمد وما يفترون يعني وما يختلقون من الكذب على الله فإن الله لهم بالمرصاد
قوله تعالى وقالوا يعني المشركين هذه أنعام وحرث حجر أي حرام وأصله المنع لأنه منع من الانتفاع منه
بتحريمه وقيل هو من التضييق والحبس لأنهم كانوا يحبسون أشياء من أنعامهم وحروثهم لآلهتهم وقال
مجاهد يعني بالأنعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم يعني
يأكلها خدام الأصنام والرجال دون النساء وأنعام حرمت ظهورها يعني الحوامي وهي الأنعام التي حموا
ظهورها عن الركوب فكانوا لا يركبونها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها يعني لا يذكرون اسم الله عليها
عند الذبح وإنما كانوا يذكرون عليها أسماء الأصنام وقيل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير
لأنه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير ذم هؤلاء على ترك فعل الخير افتراء عليه يعني أنهم كانوا
يفعلون هذه الأفعال ويزعمون أن الله أمرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل سيجزيهم بما
كانوا يفترون فيه وعيد وتهديد لهم على افترائهم على الله الكذب قوله عز وجل وقالوا ما في بطون
هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا يعني نسائنا قال ابن عباس وقتادة والشعبي
أراد أجنة البحائر والسوائب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النساء وما ولد منها ميتا أكله الرجال
والنساء جميعا وهو قوله وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء وأدخلت الهاء في خالصة للتأكيد والمبالغة كقولهم
رجل علامة ونسابة وقال الفراء أدخلت الهاء لتأنيث الأنعام لأن ما في بطونها مثلها فأنثت لتأنيثها
وقال الكسائي خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة وقيل إذا كان اللفظ عبارة عن مؤنث جاز تأنيثه
على المعنى وتذكيره على اللفظ كما في هذه الآية فإنه أنث خالصة على المعنى وذكر ومحرم على اللفظ
سيجزيهم وصفهم يعني سيكافئهم بسبب وصفهم على الله الكذب إنه حكيم عليم فيه وعيد
وتهديد يعني إنه تعالى حكيم فيما يفعله عليم بقدر استحقاقهم قوله تعالى قد خسر الذين قتلوا أولادهم
سفها بغير علم قال عكرمة نزلت فيمن يقتل البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل يشترط على امرأته أن تستحيي
جارية وتئد أخرى فإذا كانت الجارية التي توأد غدا الرجل أو راح من عند امرأته وقال لها أنت علي كظهر
أمي إن رجعت إليك ولم تئديها فتخد لها في الأرض خدا وترسل إلى نسائها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها
حتى إذا أبصرته راجعا دستها في حفرتها ثم تسوي عليها التراب وقال قتادة هذا من صنيع
أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السبي والفاقة ويغذو كلبه أما سبب الخسران المذكور
في قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم أن الولد نعمة عظيمة أنعم الله بها على الوالد فإذا تسبب الرجل في
إزالة هذه النعمة عنه وإبطالها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والآخرة أما خسرانه في الدنيا
فقد سعى في نقص عدده وإزالة ما أنعم الله به عليه وأما خسرانه في الآخرة فقد استحق بذلك العذاب
العظيم وقوله سفها بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول
هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه لأن الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولهذا سموا جاهلية وقوله تعالى وحرموا ما رزقهم الله يعني البحائر والسوائب والحام وبعض الحروث وبعض
ما في بطون الأنعام وهذا أيضا من أعظم الجهالة افتراء على الله يعني أنهم فعلوا هذه الأعمال المذمومة
وزعموا أن الله أمرهم بذلك وهذا افتراء على الله وكذب وهذا من أعظم الجهالة لأن الجرأة على الله والكذب عليه
من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ولهذا قال تعالى قد ضلوا يعني في فعلهم عن طريق الحق والرشاد وما كانوا
مهتدين يعني إلى طريق الحق والصواب في فعلهم ثم عن ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1